محاضرة 07: سيرورات التحليل النفسي عند الطفل.

تمهيد:

الى جانب التطور النظري للتحليل النفسي للأطفال، تطورت كذلك تقنياته التطبيقية العلاجية آخذة بعين الاعتبار للخصائص النفسية و العقلية للطفل. أهم هذه التقنيات يوجد اللعب، إضافة الى الرسم و الألعاب المشكلة في هيئة بشر أو حيوانات، أو منازل أو سيارات. سنقوم في هذه المحاضرة بذكر خصائص التحليل النفسي بتقنية اللعب ثم تقنية الرسم و سيرورة تحليل الطفل.

1- التحليل النفسي باللعب:

ان الطفل يعبر عن نزواته و تخيلاته و رغباته بطريقة رمزية خلال لعبه فهو يعبر بنفس اللغة التي نستعملها في الأحلام و التي تكون الرمزية جزءا منها. لكي نفهم لعب الطفل و علاقة هذا اللعب بسلوكه خلال التحليل يجب أن نضع في الاعتبار كل الوسائل و الطرق للبدائل المستعملة في عملية اخراج الحلم من عدم اغفال علاقة كل عامل بالموقف ككل. لقد أثبت تحليل الأطفال أن الأشياء التافهة في اللعب قد يكون لها معاني كثيرة و مختلفة و أننا نستطيع فهم كلية معناها عندما نتعرف على ارتباطها بالموقف التحليلي العام الذي يجرى فيه، كما أن الطفل يضيف مستدعيات كثيرة للعناصر المتفرقة في لعبه كما يفعل الراشد في أحلامه. ترى "ميلاني كلاين" أن خلف كل أشكال النشاط في اللعب تكمن عملية تفريغ لتخيلات جنسية تناسلية الطابع تظهر في شكل دائم كمحرك مستمر للعب و لذلك فان أي كف في اللعب هو نتيجة لكبت غير ناجح و غير محتمل لهذه التخيلات.

ان اكتشاف الدوافع الجنسية و محاولة التغلب على المقاومة عند الطفل اشارة على وجود تحويل ثابت و مسار تحويلي ناجح و كشرط لهذا العمل لا بد على المحلل أن لا يبدي أي نوع من أنواع المناقشات و التأثيرات البعيدة عن التحليل أو التأثيرات التربوية و أن يهتم

بالتحويل عند الطفل في نفس الاتجاه الذي يتبعه مع الراشد. باستمرار التحليل يصبح الطفل قادرا على استبدال عمليات الكبت بعمليات الرفض، حيث يبدو الطفل بعيدا عن الدوافع الجنسية السادية مع نهاية التحليل.

2- التحليل النفسي بالرسم: يستعمل محللو الأطفال الرسم كتقنية من أجل فهم طبيعة المشاكل النفسية التي تنتاب الطفل و مساعدته على تجاوزها. لا يجب أن يمارس المحلل أي تأثي على ما يرسمه الطفل. قد لا يملك هذا الأخير الثقة الكافية بنفسه فيسأل عما يجب أن يرسم أو ينسخ ما رسمه آخرون أو ينقل صورة ربها في كتاب ما. يستحسن أن يقترح المحلل عل الطفل أن يرسم ما يشاء في الأول، ثم يمكن أن يقترح عليه لاحقا مواضيع مثل العائلة، الأم و ذلك من أجل تحفيز مخيلة الطفل من دون التأثير على كيفية تعامله مع الفكرة. عندما ينتهي من الرسم نطلب منه أن يعبر عنه لكن من دون الضغط عليه ليفعل ذلك فقد يكون الرسم بحد ذاته وسيلة للارتياح أو لفتح الطريق امام التواصل بواسطة الكلام.

3- سيرورة تحليل الطفل:

ان ظروف التواصل و بناء التحويل مع الطفل أمر حساس لأنه يمكن أن يكون العلاج مفروضا عليه من طرف والديه، إضافة الى جهله بأهداف هذا العلاج الناتج عن جهله بطبيعة الاضطرابات التي يعاني منها. مهما كان عمر الطفل (بداية من عمر سنتين) فان تحليله قائم على نوعية علاقاته مع والديه بمعنى دور كل واحد منهما في ظهور الاضطراب على الطفل. تلعب الحصة التحليلية الأولى دورا هاما على المحلل أن يظهر للطفل أنه في حالة علاج و يقنعه بأهمية هذا العلاج ليس على حسب نوعية أعراضه و انما على حسب الصعوبات العلائقية مع والديه خاصة. خلال كل فترة التحليل على المحلل اتخاذ موقف الحياد. يعتمد المحلل على عدة أساليب في علاقته مع الطفل كأن:

- يلتمس تداعيات من طرف الطفل سواء عن طريق اللعب أو الكلام معه.

– يمكن ان يثير المحلل مواضيع معينة باستعمال ألعاب أو أشكال مرتبطة بتلك المواضيع.

– يمكن للمحلل أن يركز على حدث معين حصل للطفل فيتكلم معه أو يبني لعبة معينة مرتبطة بذلك الحدث الهام بالنسبة للطفل.

ان التأويل الحقيقي ينص على تفسير وضعية صراعية أعيد عيشها أثناء التحويل مرتبطة بالماضي الشخصي للطفل. يتم التحليل للأطفال عبر عدة حصص في الأسبوع من حصتين الى ثلاثة حصص. نهاية التحليل تتم بظهور مظاهر استبصار عند الطفل، تسمى مرحلة "الفطام phénomènes de sevrage"، هذه المرحلة عبارة عن اعطاء الطفل بصورة مختصرة لطبيعة الاسقاطات التي قام بها اتجاه شخص المحلل طيلة فترة التحليل.

خلاصة:

نستخلص مما سبق أن الطبيعة البدائية لعقلية الطفل قد دعت المحللين الى ايجاد أساليب تحليلية أكثر تكيفا معه، نستطيع من خلالها الاقتراب من خبراته النفسية العميقة و المكبوتة. نستخلص كذلك أن الفرق بين تحليل الطفل و تحليل الراشد هو فرق في الأسلوب و ليس فرق في المبادئ الأساسية للتحليل النفسي فتحليل التحويل و المقاومة الذي يقوم به التداعي الحر عند الراشد، يقوم به اللعب عند الطفل.

–